

نظره ضعيف وعنده نظارة

الكاتب



حسن مدن

د. حسن مدن

كنت واقفاً بجانبه، حين فتح الأديب والإعلامي العماني سليمان المعمري صندوق سيارته ليودع فيه كيساً كان بيده، قبل أن ننطلق إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون في مسقط لنسجل فيه حواراً ثقافياً يجريه المعمري معي. لاحظت أن صندوق السيارة مكتظ عن بكرة أبيه بالكتب، حتى أنه لا متسع فيه للمزيد.

لم أعلق لحظتها على ما رأيته. أمر مألوف لدى المأخوذون بالكتب أن يفعلوا الشيء نفسه، أن يحولوا سياراتهم إلى حافظات للكتب، حتى تحين ساعة نقلها إلى أماكن سكنهم أو عملهم. لم أعلق لحظتها، ولكني سأعلق اليوم على ما رأيته في صندوق السيارة، لأنني استعدت ذلك المشهد حين شرعت في قراءة كتابه حديث الصدور الذي حمل العنوان اللافت: «نظري ضعيف وعندي نظارة»، والكتاب مجموعة من المقالات الشائقة تعنى بالقراءة والكتب.

في مقدمة الكتاب التي عنوانها سليمان بعنوان: «ليست مقدمة وإنما مجرد سرد من اللا قارئ الصغير»، أتى على ذكر الكتب التي اختارت أن تبقى في سيارته، أو اختار هو لها ذلك، بعد أن عرض بعض تفاصيل مكتبته التي اختار، متعمداً، غرفة نومه مكاناً لها، كي لا تطالها يد أحد من المهووسين باستعارة الكتب، التي لن تعود إلى مكانها، وكلكم يعرف القول الذي غدا مأثوراً: «غبي من يعير كتاباً وأغبي منه من يعيد كتاباً استعاره».

جميل وصف سليمان المعمري علاقته بتلك الكتب التي تقاسمه العيش في غرفة نومه، حيث كتب التالي: «تنظر إليّ ليلاً وأنا نائم، تتأملني، تتصفحني، تقرأني من الغلاف إلى الغلاف، تستمع إلى سيمفونية شخيري دون تأفف».

لكن بالنسبة للكاتب، فإن سيارته ليست مجرد محطة مؤقتة للكتب قبل أن تجد طريقها إلى أرفف مكتبته، فتلك السيارة هي الأخرى مكتبة. ومحظوظة الكتب التي تكون السيارة محل إقامتها، فذلك بمثابة امتياز يمنحه صاحبها إليها، ما قد يجعل الكتب المريحة في أرفف مكتبة غرفة النوم تغطيتها لأنها لم تحظ بالشرف الذي نالته، فالكتب التي أسكنها في السيارة ضرورية، لا لأنها أهم من بقية ما لديه من كتب، وإنما لأنها داخلية في عدة الرجل الذي يمتنن الإعلام ويقدم في

الإذاعة برامج ثقافية، للكتاب فيها موقع القلب.
لا يليق بالكتب المقيمة في السيارة، يقول المعمري، «أن تظل حبيسة أرفف المكتبات بل ينبغي أن ترى الدنيا وتتنفس
هواء الحرية المنعش، معززة، مكرّمة»، حتى لو نالها من الأذى ما لا سبيل لاتقائه، كأن تدوسها الأقدام حين تكتظ
السيارة بالركاب.

هذه باقة من بستان واحد من مجموعة بساتين الكتب التي يطوف بنا فيها المعمري، قاهراً نظره الضعيف ومستعيناً
بالنظارة

madanbahrain@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024